المثقف المتمرد
وتنازع القيم
في القصة القصيرة الجزائرية

المثقف المتمردوتنازع القيم
في
القصة القصيرة الجزائرية*

فاطمة الزهراء زيراوي - منى علام
حسين قحام - عبد الله تزروتي
جامعة الجزائر: معهد اللغات الأجنبية

تحاول هذه الدراسة التعامل مع بعض القصص القصيرة الجزائرية، بغية الغوص في طبيعة شخصية المتمرد، الطبيعة القائمة في كثير من المرات على جملة من المفارقات، التي تخبو تارة، وتطفو مرات، كما تحاول أن تختبر - ولو من بعيد - آثار هذه المفارقات ونتائجها عليه أولا، ثم على باقي الشخصيات الأخرى ثانيا.

وبين هذا وذاك، تتشكّل شخصية المثقف المتمرد، الذي كثيراً ما سقط نتيجة لأسباب عديدة، جعلته يدور في حلقة / حلقات، ويعيش التناقض والتأزم والإهتزاز والتنازع في القيم، والتي تفتقد - في كثير من المرات - إلى الترتيب من جهة، وإلى التروي في الحركة من جهة أخرى، ناهيك عن نوعية الحركة التي تحمل الكثير من المفارقات، وهو ما نوضحه في دراستنا هذه.

من السطر الثالث ترتسم أمام أعين القارئ صورة نراها المفتاح الرئيسي لقصة «القضبان الباردة»(1)، يقول القاص: «بدأت الشمس ترتفع، والحرارة تشتد بالتدريج وهو يضرب في النهج بغير هدى! كان يسير كالمنوّم، أغلب المحلات تصفعه مغلقة متجهمة»(2). وإذا كان القصد من الضرب بغير هدى نتيجة لما آلت إليه حالة البطل (المتمرد) في هذه القصة، فإنّ أدوات (الثورة) على مجموعة من القيم التي تكبّل الأسرة (سلبا وإيجابا) كانت ناقصة، ذلك لأنّ المتمرد ساقط لامحالة، وهو الأمر الذي نبرزه في حينه عندما نتتبّع الصفات التي أعطاها القاص لمتمرده،

---

* مقتطف من بحث: «صورة المثقف في القصة الجزائرية»
من إعداد: فاطمة الزهراء زيراوي - منى علام - حسين قحام - عبد الله تزروتي.

(1) عبد الحفيظ بوالطين: الصراع المزمن. م.و.ك.. الجزائر 1986.

(2) المصدر نفسه ص 24.

إذ هو في «سنته النهائية آداب»[3] وهو «يعلم أنّ مجرد التفكير في الزواج بجامعية يعد جرما كبيرا في عرف عائلته وذويه»[4] و«لكنه تحداهم بمفرده وصمم على المقاومة»[5] و«اطمأن لجوابها عندما ردّت بهدوء تام (إنّ كلّ شيء يحل مع مضي الوقت وإنّ الزمن كفيل بأن يبدد كلّ مخاوفهم»[6] إذ «أحسن بطاقة كبرى للثبات والصمود والتحدي فثبت وصمد وتحدى»[7] إنّ السقوط الذي آل إليه المتمرد لم يكن في اعتقادنا نتيجة للجبهة الخارجية الممثلة في الأهل والأقارب التي راح يصارعها المتمرد (وإن كنا نشك حتى في كلمة التحدي التي طالما راح يوهمنا بها الكاتب ومن ورائه المتمرد بين الفينة والأخرى لأنّها كلمة زائدة في إعتقادنا لأنّ الزواج بشريك جامعي لا يعدّ تحديا، وبخاصة أمام إنسان طالما كان يلوك كلمات الثقافة، المبادئ، الأفكار، القيم وما هنالك)، نقول هذا لنبين أنّ سقوطه قائم بداخله (المتمرد) أساسا، أليس هو القائل: «..وهاهي ذي أمامه حقيقة مجسدة المثال من عطر، عمود من نار، قطة مدللة تلهو بجانبه في براءة»[8] وهو المقطع الذي ينسق ولا يبقى شيئا من صفة «كانت طالبة في السنة الثالثة... وتحابا بعنف. أحبّها بكلّ جوارحه»[9] ذلك لأنّ التحدي والمواجهة والثبات كان يقوم أساسا على من كانوا يرون المرأة سلعة، إذ يمنع عليها الخروج للعمل، وقراءة المجلات، ويريدون امرأة تجيد الغسيل وتربية الأطفال»[10] والمتمرد هنا لا يعدو مجرد مثبّت للرؤيا القديمة إلى المرأة إن لم نقل يسخرّها أكثر إذ هي دمية أمامه، وتمثال من عطر.. وما هنالك من الصفات التي لا تضيف شيئا إلى المرأة إن لم نقل ترجعها إلى مادون نظرة الأسرة عند بطلنا. وهذا وغيره يدفعنا إلى التأكيد على أنّ المتمرد لم يسقط (أو يصل إلى حالة السقوط) للطرف الخارجي - وإن كنا لا نبعده - وإنما لأنّه يحمل بذرة موته بداخله، كيف لا! «وتوقفت الأرض عن الدوران...! وحانت لحظة الصفر! وفجأة تملكه إحساس غريب، أحس كأنّ جبلا من جليد قد إنهار بداخله وكأنّ يدا عملاقة عمدت إلى قلبه فسحقت فيه نسمات اللهفة والشوق»[11] ثم أين القارئ للقصة من «كان يعتقد أنهّ فوق كل دجل وشعوذة، وأن له من

(3) المصدر نفسه ص 24.

(4) المصدر نفسه ص 25.

(5) المصدر نفسه ص 25.

(6) المصدر نفسه ص 25

(7) المصدر نفسه ص 25.

(8) المصدر نفسه ص 26.

(9) المصدر نفسه ص 24.

(10) المصدر نفسه ص 25.

(11) المصدر نفسه ص 26.

ثقافته العالية درعا حصينا، يقيه الشرور»[12] و «ذهب إلى الطبيب، أمدّه بحقنة، وعدة حبوب صغيرة، وعده خيرا. أكّد له أنّ كلّ شيء على ما يرام»[13] و «ضغط على أسنانه بقوة، وامتدت يده خفية تتحسس التميمة المشدودة إلى ساعده، تستمد منها العون والقوة!»[14].

إنّ توقف الأرض عن الدوران، ولحظة الصفر، والتميمة المشدودة إلى ساعده للمعونة، صفات تتناقض مع اعتقاد البطل أنّه قوي فوق كل دجل وشعوذة، وأنّ له ثقافة عالية تشكّل درعا حصينا أمام الرياح العاتية، وهو ما يدفعنا إلى القول، إنّ متمرد «بوالطين» لم يسقط بعد الصراع والمواجهة ـ على الرغم من محاولة القاص إيهامنا بذلك مرات ومرات ـ وإنما سقط قبل بداية الصراع في الأساس، ذلك لأن المتمرد ساقط لامحالة لأنه يحاول التغيير بمفرده من غير تنظيم أولا، ولأنّ المتمرد في هذه القصة لم يكن مثقفا ـ على الرغم من الصفات المقدمة من القاص وعلى أكثريتها ـ وإنما كان مشدودا إلى عقليتين، وبمعنى آخر، يعيش متنازع القيم التي رأيناها مع صفات (لحظة الصفر، تمثال، قطة مدللة، تميمة...) من جهة، وصفات (الثقافة، المبادئ، الأفكار، مثقف جامعي...) من جهة أخرى، وهو الأمر الذي أدى به إلى السقوط لأنّ وعيه اتصف بالتأزم والإهتزاز والتذبذب في تنازع القيم وفي أعلى مستوياتها. وإذا دخلنا إلى قصة «واريس» لعمار بلحسن[15] فإننا لانجدها تختلف في كثير عن سابقتها، وإن اختلفت، ففي الطريقة التي قدّم بها القاص قصته، فإذا كانت قصة (بوالطين) تفجع القارئ من بدايتها من خلال الصفات التي مثلت بين أيدينا آنفا، فإنّ قصة (بلحسن) تشدنا من بدايتها إلى نهايتها ممتدة عبر صفحات عدّة، راح يسرد فيها نمطا معيشيا بين عاشقين طالما شككنا في نهاية مغايرة لـ «الذراع في الذراع»[16]، «مع امرأة أحبّها، تدعى واريس»[17]، وإن اهتزت الصورة المثلى، فمرة واحدة في اعتقادنا، وذلك عندما قال: «معها أدخل أمصارا وأقطارا، نبحر إلى محيطات، نسير في حدائق وغابات من أشجار السرو، ندخل مدنا، نخرج من قرى، ننزع جلودا مجلطة، ونضيع في مروج لا آفاق لها، ننبت نبتات غريبة الأطوار.. ثم نجري لنغتسل عرايا تحت شلالات تحيط بها مساحات لا نهائية من اليخضور اليانع»[18]. نقول هذا، ونحن نعني بذلك هذه الفردية وهذه الأحلام المزركشة التي طالما

(12) المصدر نفسه ص 27.

(13) المصدر نفسه ص 28.

(14) المصدر نفسه ص 29.

(15) عمار بلحسين ـ فوانيس ..و.ك. الجزائر 1991.

(16) المصدر نفسه ص 17.

(17) المصدر نفسه ص 19.

(18) المصدر نفسه ص 20.

حملها وحلم بها المتأزمون والهاربون بل وحتى الرومانسيون الذين كانوا يهربون من واقعهم إضاء أرحب ظاهريا، ومغلقا داخليا، من خلال قولنا : إنّ هذه (الهربات) لا تجدي ما لم تنظم، إذ أنّ السؤال المطروح هو ليس كيف هرب ؟ وإنما مع من هرب ؟ إنّه هرب من لا شيء ومع العدم إلى حلم منكسر، لأنّ هذا التمرد غير مبني في الأساس، فالشخصية ـ حتى وهي في الحلم ـ لاتني، تقترب من الواقع إن لم نقل تسخره من خلال الحلم غير المشروع، نقول هذا ونحن نشير إلى قول البطل :«المرأة بحر الكون الذي لا ينتهي. حنانه وزبده وخيراته، فمجداً للبحر والنساء»(19)، وإذا كان البحر للإغتسال، فإنّ المرأة لا تعدو أن تكون أحسن منه، وهو ماينبئ بالإستغلال في صورة معاكسة لما ألفناه عند (بوالطين)، إذ هي دمية للعب والإضافة ليس إلا. وإذا كان (بوالطين) قد وجد أعذارا ـ يعتقد في موضوعيتها ـ لبطله، فإن (بلحسن) لا يني عن بعث المجتمع الذكوري في قصته، إذ أنّ هذه المرأة «ستنهي دراستها في هذه السنة وتخرج طبيبة وأنها ربما تشتغل وربما تأخذ منحة للتخصص في فرنسا»(20) ولاشيء منها على الإطلاق في الحركة، إذ راح يتابع الساقط الذي بدأ فعله في الحركة وتبدأ هي في التراخي والإستسلام، فالمتتبع لكلّ حركة في القصة لا يعثر على فعل من هذه المرأة عدا الإستسلام على حين راح البطل في الحركة «كنت أتملاها... قبّلتها مرارا ولكني لم أجرأ أن أنام معها... شددتها إلى صدري.. اشتعلت رغبتي في الهروب إلى ممالك الليل المقمرة.. ناولتها كأسا.. كنت أكافح.. بدأت تحرك مستنقع حياتي..»(21) وما أن لاحت أول حركة منها حتى انتفض المارد بقوله : «أكذب إن قلت أنك هي تلك التي كنت أقبلها، لم أكن أعرف، بكل عطشي ورؤيتي الصافية، كنت أحسبك طاهرة نقية»(22) ثم تمادى إلى أن أخرج ما في جعبته قائلا : «أنا ابن تاريخي، ابن من قطيع محكوم بسلاسل الماضي، كيف أجمعك الآن ؟»(23) إلى أن قال : «بعد أيام، لم أعد أرى فيها واريس، أحببتها ولكن لاأستطيع الزواج بها»(24) وبعد التعرض إلى قصته (بلحسن)، نتساءل : إذا كان بطل (بوالطين) قد إنتهى إلى نهايته المحتومة ألا وهي الإنتحار، نتيجة للضغط الإجتماعي الذي ما فتئ يقف عائقا أمام آماله وأحلامه، فلماذا سقط (أو عاد) بطل (بلحسن) إلى كنف من وقفوا ضد بطل (بوالطين) ؟ لا نغالي ـ في اعتقادنا ـ إذ قلنا إنّ بطل (بلحسن) لا يني يبعد عن «دون جوان» بلا زاد، اللهم إلا الأعراف

(19) المصدر نفسه ص 21.

(20) المصدر نفسه ص 23.

(21) المصدر نفسه ص 22. 23. 24. 25.

(22) المصدر نفسه ص 27.

(23) المصدر نفسه ص 28.

(24) المصدر نفسه ص 28.

الموجودة في داخله فقط، ذلك لأنّ هذا المتمرد على التقاليد في الخفاء لم يكن يحلم مرة واحدة الخروج منها، فهو منكسر في داخله،، إذ حتى في حلمه لم يبعد عن الإنزواء والهروب، كما أشرنا إلى ذلك آنفا، وهو مايشي بتهتّك الداخل، هذا الداخل الذي يحمل ركاما ويبدي رذاذا، إذا صحّ هذا التعبير، يحمل ركام الماضي في قيمه المتنازعة على الرغم من اللوحات الشعارية التي راح يحملها في وجه القارئ كلما لاحت بادرة للفضيحة، فضيحة البطل على أنّه ليس أكثر من إنتهازي، بل وإستغلالي من خلال قوله: «تفو على شرف معلّق في خرافة!»[25] و«لكن متى ينتهي تاريخ العبث هذا؟... متى يصبح بإمكاني عشق واريس بدون عقدة»[26]. نقول أبدا، لأن «واريس» ليست أكثر من دمية في حركته، ولأنها ليست أكثر من متعة بين أيدي أمثاله!؟ «واريس» هي البحر الذي لايغتسل منه بقدر ما يفرغ فيه بقاياه، هي القمر الذي أطفأه أمثاله، قلنا، إنّه يحمل ركاما غير منفصل منه وعنه، على الرغم من المحاولات اليائسة التي حاول إيهامنا بها بأنّه مظلوم، كيف لا! وهو يصرخ: «نحن منتوج التاريخ»[27] وقوله: «ولكن سأهديهم قصيدة لأحد أصدقائي الشعراء الأشقياء عن ليالي الأعراس والإغتصابات... تحمل كل غضبي على الدم وأعواد الكبريت والإنتهاكات الحافلة بالأكل والغناء..»[28]. ونتساءل عن متلقي هذه القصيدة، هل هم مستعمرو (أراغون)؟[29] أم «المتحمسون جدا للثورة والإشتراكية»؟[30] أم «الفيلسوف المسيردي الذي يهوى شقلبة المفاهيم؟»[31] أم «الجيلالي النقابي الجامعي»، أم بطل القصة من غير إسم، الذي هو من ذلك النوع الذي لم يقم بخدمته العسكرية بعد، بعد انتهاء أطروحة سارى الآفاق[32] أم هل هناك متلق آخر غير هؤلاء!؟ وهو الأمر الذي يدفعنا إلى القول إنّ هذه القصيدة هي فضح آخر إلى كلّ أصدقائه - إذا كانوا أصدقاء فعلا - وهو ما نشك فيه مبدئيا، هي فضح لمن راح يختلق الأعذار باحثا عنها حتى فيمن واراهم التراب، علّه يجد ضالته المتمثلة في الإستهتار والتنازع في القيم من خلال علاقة لاعائق أمامها إلا صور سلوك داخلية عبر لغة جدّ وهمي وعُرف غير ناضج في وعي بطلنا من غير اسم، وهو ما نلاحظه بطريقة أكثر وضوحا عند القاص «بوجادي علاوة» لاحقا.

(25) المصدر نفسه ص 28.
(26) المصدر نفسه ص 28 ـ 29.
(27) المصدر نفسه ص 28.
(28) المصدر نفسه ص 29.
(29) المصدر نفسه ص 24.
(30) المصدر نفسه ص 25.
(31) المصدر نفسه ص 25.
(32) المصدر نفسه ص 25.

ين كانوا يهربون من واقعهم إضاء
ربات) لا تجدي ما لم تنظم، إذ أنّ
ب من لا شيء ومع العدم إلى حلم
تى وهي في الحلم ـ لانني، تقترب
ف هذا ونحن نشير إلى قول البطل
للبحر والنساء»(19)، وإذا كان
تبئ بالإستغلال في صورة معاكسة
ذا كان (بوالطين) قد وجد أعذارا ـ
لجتمع الذكوري في قصته، إذ أنّ
يها ربما تشتغل وربما تأخذ منحة
ة، إذ راح يتابع الساقط الذي بدأ
حركة في القصة لا يعثر على فعل
أثقلاها... قبّلتها مرارا ولكني لم
الهروب إلى ممالك الليل المقمرة..
2) وما أن لاحت أول حركة منها
نت أقبلها، لم أكن أعرف، بكل
دى إلى أن أخرج ما في جعبته
ي، كيف أجمعك الآن؟»(23)
كن لاأستطيع الزواج بها»(24)
بوالطين) قد إنتهى إلى نهايته
ما فتئ يقف عائقا أمام آماله
را ضد بطل (بوالطين)؟ لا نغالي
جوان» بلا زاد، اللهم إلا الأعراف

إنّ المتتبع لقصة « أغنية للعشق.. للثورة وللسقوط »(33) يكتشف في البداية إجابة غنية عن قصتي (بوالطين وبلحسن) الآنفتي الذكر، إجابة تشي بأنّ المتمرد، ومهما تعددت أشكاله وتلونت صوره لامحالة ساقط وساقط من حيث تركيبته في شكله الداخلي أولا، ومن حيث طريقته في تنامي انكساراته التي تجعل الهوة تزداد اتساعا كلما اتسعت حركاته وسلوكاته.

وإذا كان متمرد (بوالطين) ومن بعده (بلحسن) قد سقطا لإنكسار الذات ومن بعد انحسار الأفق، فإن متمرد (بوجادي علاوة) في القصة التي نحن بصدد التعرّض إليها، يضيف شيئا آخر في السقوط، يتمثل في السقوط الشعاري، إذا صح التعبير، وبمعنى أدق، فإن متمرد (إن لم نقل متمردي) «بوجادي علاوة» انفضحت مؤشرات سقوطه عندما لاحت أمام عينيه لحظة من لحظات الثورة، الثورة التي صعقته، على الرغم من الشعارية التي كان ينادي بها، إن لم نقل يباهي بها غيره، « لنمح بها كلّ شيء..تراث..عادات..تقاليد.. ولنبدأ من جديد »(34) و« كتبنا في جرأة عن وضعية المرأة..كتبنا في ضياع الشباب.. في استغلال الدين لتأييد القهر والتسلّط في مجتمع بطريركي مثله الأعلى السلطان وشيخ القبيلة ورب الأسرة [...] بشرنا بالثورة في كلّ شيئ »(35).
إنّ هذا المتمرد وأصدقاءه راحوا يلوكون الشعارات الرنانة في معظمهم، والتي أوصلت بأصحابها إلى الأفق المسدود، وإن انفتح فعلى مشاهد للعري أكثر منها للوعي، فهذا لا يرى سوى حلاً آخر (36) وذاك يقترح(37) والآخر يجري تحويرا في المسرحية(38) والأخير يبحث عن معجزة أخرى، والتي لاتبعد عن كشف الوجه الآخر لزيفه (وزيفهم) عندما قال : « تلك ستكون معجزتنا.. ألسنا ثوريين في كلّ شيء »(39)، والآخر الأخير « لطم أحد الرفاق رفيقا آخر بلكمة في وجهه.. ودخلنا جميعا في عراك عنيف، نكيل لبعضنا البعض اللكم، والركل في حقد.. في وحشية.. نعض.. نخدش [...] ولم نتوقف حتى سقطنا من الإعياء »(40). وبين السقوط من التعب والسقوط في حركة المتمرد، عانقت « سكينة » وليدها ومشت في طريق لانهاية له : « سرتما في

(33) علاوة بوجادي : شذرات من اعترافات مارق. م.و.ك. الجزائر 1986.
(34) المصدر نفسه ص 10.
(35) المصدر نفسه ص 9 . 10.
(36) ينظر : المصدر نفسه ص 14.
(37) ينظر : المصدر نفسه ص 14.
(38) ينظر : المصدر نفسه ص 15.
(39) المصدر نفسه ص 15.
(40) المصدر نفسه ص 17.

الطريق وحيدتين ثم ذبتما في جموع الجماهير»(41) وأخذت «سكينة» طفلتها التي سئمت من هؤلاء الذين تنكروا لها، بل ونكروها، وهو الأمر الذي تبيّنه «سكينة» في فخر عندما قالت: «وإن كان هناك من خطأ فوجودكم هو الخطأ»(42). وإن هذا الإنفصال عن، والإنضمام إلى جموع الجماهير لايعدو أن يكون حاملا لوعي ثوري مقابل وعي متمردين زائف، نقول هذا ونحن نشير إلى أن «سكينة» وصلت إلى معرفة من لايصلحون لها على الأقل، على الرغم من محاولة المتمرد التشبث مرة أخرى. بحبل النجاة، عندما حاول التعلّق بأي خيط يتبادر إلى ذهنه، بخيط يفكر أنّه الحل الوحيد عندما قال: «فدعيني أتحول، من ظل لظلك، إلى ظل ليدك، أو ظل لكلبك»(43) وهذا ما يثير عند القارئ ملمحا آخر للسقوط، إذ أنّه لايعدو أن يكون مستمرا في استغلاليته على الرغم من وصوله إلى نهايته المحتومة، وكلّ هذا وذاك يدفعنا إلى القول، إنّ متمردي (بوالطين بلحسن)، وإذا كان قد اسقطهما العمل الفردي النابع من منبت ذاتي، فإنّ العكس هو الصحيح عند متمرد (بوجادي علاوة)، إذ أنّ الفعل الجماعي النابع من الثورة هو الذي أسقط المتمرد، وبمعنى آخر، إنّ الثورة هي التي كانت وراء سقوطه بل وراء تعريته وليس العكس، ذلك لأنّ المتمرد لم تسقطه ذاتيته هنا فحسب، وإنما الثورة هي التي عرّت الجانب الشعاري فيه، وهو القائل: «ومن أصالتي انبعث لحن لأغنية حطمناها..لثورة اغتلناها»(44).

إنّ هنا يدفعنا إلى استنتاج مجموعة من القضايا رأيناها جلية في القصص التي تعرضنا إليها:

أولها: أنّ المتمردين في القصص الآنفة الذكر، مرّوا بمراحل كانت وراء سقوطهم، فمن ذات ضعيفة حاملة لبذرة الموت، إلى تنازع في القيم، وصولا إلى ثورية هشّمت الجانب الهش من المتمرد، وبمعنى آخر، ثورية كشفت الشيء الناقص في المتمرد ليصل أو لينتقل من فرديته إلى الجماعية، ذلك لأنّ نقطة الإنطلاق عند المتمرّد والثوري واحدة، ويكمن الفرق والإختلاف في التنظيم وعدمه، أي أنّ المثقف المتمرد والمثقف الثوري ينطلقان من رؤية واحدة هي الرفض للواقع، وفي حين يصل الثوري إلى العمل المنظم، يراوح المتمرد في سلوكه الفردي نتيجة [illegible] والإهتزاز والتنازع في القيم والتردد مدّاً وجزرا مما يوصل بصاحبه إلى النهاية المحتومة ألا وهي السقوط بمعنى من المعاني.

(41) المصدر نفسه ص 19.
(42) المصدر نفسه ص 18.
(43) المصدر نفسه ص 19.
(44) المصدر نفسه ص 19.

وثانيها: أنّ المثقف المتمرد عن (بوجادي علاوة) اقترب من التنظيم أو (الإلتحاق بالثورة) لو لم تقف أمامه مجموعة من الفراغات التطبيقية وليست النظرية، لأنّه قد قطع شوطا لايستهان به في الإقتراب من التنظيم من خلال «تحطيمه (هو ورفاقه) تقاليد المسرح التقليدي، المسرح بشكله الحالي لايتسع للمضامين الثورية»(45) من جهة، و «مسرحنا ينبع من خصوصية أصيلة، ولن تجد فيه ظلالا «لمايكوفسكي» ولا لغيره»(46) من جهة أخرى. وهو الأمر الذي يدفعنا إلى القول إنّ المثقف المتمرد يملك رؤيا للدخول ضمن العمل الثوري.

وثالثهما: أنّ المرأة هي ـ ومرة أخرى ـ كانت وراء سقوط المتمرد، وهو ما يجعلنا نؤكد على أنّ المرأة مرادف طبيعي للثورة في القصص الثلاث، فمثلما سقط الأوائل بفعل المرأة، سقط المثقف المتمرد عند (بوجادي علاوة) بالإبتعاد عن هذه المرأة، وهو مايجعل القارئ يتساءل عن هذه العلاقة، في سقوط المتمرد اقترابا من، وابتعادا عن هذه المرأة، وهل يعني هذا أنّ القضية عند المتمرد امرأة؟! وهنا لا نعني الأنثوية، وإنما الجانب الإنساني منها، ولما اقترنت المرأة بثورية المثقف أو تمرّده في البداية، ثم اقترنت المرأة بالثورة في النهاية عند (بوجادي علاوة) ؟! هل يعني هذا ماقاله المتمرد في القصة الأخيرة التي بين أيدينا عندما راح يشرح: «كنا أصحاب قضية .. لكن أن تحبل الثورة.. فآه لسذاجتنا.. آه لعدم توقعنا ؟»(47). وهل يعني في نهاية المطاف أنّ أزمة المتمرد هي المرأة ؟! وهو ما نعده غير كاف وإن ركّز عليه القصاصون، ذلك لأنّ المرأة جزء من سقوط المتمرد، وإلا فأين هي البذور الأولى للسقوط من قصور في النظرة، وتسرع في الحركة وشعاريات ملوكة ومبتذلة ؟!.

وملاحظة رابعة نذهب فيها إلى أنّ الحل الأول الذي حاول المثقف المتمرد تبنيه ليس إلاّ إجهاضا للثورة، وليست الحلول المتبقية إلا آثارا مترتبة عن ثورة المتمرد الفردية، وبمعنى آخر، ليست أكثر من حدّ فاصل بين المتمرد والتغيير الجذري والواعي في آن معا، إذ أنّ هذه الفواصل المقترحة كحلول، لاتبعد عن كونها طاقات استهلكت أو استهلكها المتمرد لتبعده عن الثورة، بل ولتبعد الثورة عنه، وبمعنى ما، هي استنزاف لطاقات ظلت تلازم المتمرد من جهة، وتقف عائقا أمام اقترابه من مشروعية نجاحه، لأنّ هذه الطاقات المستهلكة كان يمكن أن توصل به إلى الثورة والتغيير الإيجابي لو استغلت بشكل واع ومثمر في آن معا.

(45) المصدر نفسه ص 10.

(46) المصدر نفسه ص 10.

(47) المصدر نفسه ص 13.